

أنماط تخطيط المساجد الليبية خلال العهد العثماني (1551-1911م) دراسة تحليلية في التكيف المعماري بين الطرز الوافدة والبيئة المحلية

أبو راوي مصطفى علي المرخية¹

تاريخ الاستلام: 2026.07.18، تاريخ القبول: 2026.08.10، تاريخ النشر: 2026.09.30

الملخص:

تتناول هذه الدراسة بالتحليل التاريخي والمعماري أنماط تخطيط المساجد الليبية إبان العهد العثماني (1551-1911م)، بهدف سد فجوة بحثية متمثلة في ندرة الدراسات التحليلية التي تربط بين الأشكال المعمارية الوافدة وآليات تكيفها مع المحددات البيئية المحلية، حيث اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي والمقارن لاستقصاء التخطيط العام الذي تباين بين المجمعات الدينية المتكاملة (الكُلية)، والمساجد المغطاة بالكامل، كما تتبعت الدراسة تطور بيت الصلاة من الطراز العربي التقليدي، مروراً بنمط القباب المتعددة (أولو جامع)، وصولاً إلى نمط القبة المركزية المهيمنة، وامتد التحليل ليشمل الوحدات المعمارية الدقيقة؛ راصداً تحول المآذن من المسقط المربع المغاربي إلى الأسطواني العثماني، وتميز المحاريب بالزخارف المصنجة والأعمدة المزدوجة، بالإضافة إلى تكيف أشكال الصحن ومواقعها مع النسيج الحضري المكتظ للمدن المسورة، وتخلص الدراسة إلى أن العمارة الليبية في تلك الحقبة مثّلت حالة

¹ أستاذ مشارك - قسم الآثار الإسلامية - كلية الآثار والسياحة جامعة المرقب - amalmarkheeyah@elmergib.edu.ly

تكييف معماري واعية أنتجت طرازاً هجيناً دمج بين الوظيفية البيئية والرمزية السياسية، مما يشكل إضافة نوعية لفهم تراث المنطقة.

الكلمات المفتاحية: العمارة العثمانية في ليبيا- أنماط التخطيط المعماري- التكييف المعماري-الكُلية- المساجد متعددة القباب.

Patterns of Mosque Planning in Libya During the Ottoman Era (1551–1911 AD): An Analytical Study of Architectural Adaptation Between Imported Styles and the Local Environment

Abu Rawi Mustafa Ali Al-Markhiya

Received: Jul. 18, 2026; Accepted: Aug. 10, 2026 Published: Sep. 30, 2026

Abstract:

This study presents a historical and architectural analysis of the planning typologies of Libyan mosques during the Ottoman era (1551–1911 CE). It aims to address a research gap characterized by the scarcity of analytical studies linking imported architectural forms to the mechanisms of their adaptation to local environmental determinants. Employing historical, descriptive-analytical, and comparative methodologies, the research investigates the general layouts, which varied between integrated religious complexes (külliye) and fully roofed mosques. The study traces the evolution of the prayer hall from the traditional Arab hypostyle style, through the multi-domed system (Ulu Cami), to the ultimately dominant central-dome scheme. The analysis extends to detailed architectural elements, documenting the transformation of minarets from the Maghrebi square plan to the Ottoman cylindrical form, and highlighting mihrabs distinguished by carved stucco decorations and paired columns. It also examines the adaptation of courtyard forms and locations in response to the dense urban fabric of walled cities. The study concludes that Libyan

architecture during this period represented a conscious process of architectural adaptation, resulting in a hybrid style that merged environmental functionality with political symbolism. This constitutes a qualitative addition to the understanding of the region's architectural heritage.

Keywords: Ottoman Architecture in Libya, Architectural Planning Typologies, Architectural Adaptation; Külliye, Multi-domed Mosques

المقدمة:

تُعَدّ المساجد أحد أهم المكونات العمرانية والثقافية في المدن الإسلامية، فهي ليست مجرد منشآت دينية، بل مؤسسات اجتماعية وحضارية شكّلت عبر العصور مراكز للعلم والإدارة والتفاعل المجتمعي، وقد شهدت ليبيا خلال العهد العثماني (1551-1911م) تحولات معمارية لافتة في بناء المساجد، إذ امتزجت الطرز العثمانية الوافدة مع الخصوصيات المحلية، فنتج عن ذلك طراز معماري هجين يعكس تفاعلاً معقداً بين الهوية الدينية والبيئة العمرانية والمناخية، ورغم وجود عدد من الدراسات التي تناولت تاريخ المساجد الليبية، فإن معظمها ركّز على الجوانب الوصفية أو التوثيقية دون التعمق في تحليل آليات التكيف المعماري بين الطرز العثمانية والبيئة المحلية، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى دراسة تحليلية معمّقة تستكشف كيف استوعب المعمار الليبي التأثيرات العثمانية، وكيف أعاد صياغتها بما يتناسب مع النسيج الحضري للمدن المسوّرة، والظروف المناخية، والاحتياجات الاجتماعية للسكان.

في ضوء ما سبق من قصور في المعالجة التحليلية لهذا الموضوع تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسد فجوة واضحة في مجال العمارة الإسلامية بليبيا، إذ تقتقر المكتبة الليبية إلى دراسات تحليلية تربط بين التخطيط المعماري للمساجد العثمانية وعمليات التكيف المحلي التي خضعت لها، كما تسهم الدراسة في إبراز الخصوصية المعمارية للمساجد الليبية خلال العهد العثماني، وتفسير التحولات التخطيطية والإنشائية في ضوء الظروف المناخية والاجتماعية، وتوثيق نماذج معمارية مهددة بالاندثار نتيجة الإهمال العمراني، إضافة إلى دعم جهود الحفاظ على التراث العمراني من خلال تقديم قراءة علمية دقيقة لتطور المساجد، وبذلك تُعد الدراسة إضافة نوعية للباحثين في مجالات العمارة الإسلامية، وتاريخ المدن، والتراث الثقافي.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أنماط تخطيط المساجد الليبية خلال العهد العثماني (1551-1911م)، والكشف عن آليات التكيف المعماري التي خضعت لها الطرز العثمانية الوافدة في تفاعلها مع الموروث المغربي والخصوصيات البيئية والعمرانية المحلية، مع إبراز انعكاس ذلك على تخطيط المساجد، وبيت الصلاة، والوحدات المعمارية الأساسية، بما يسهم في تعميق فهم الهوية المعمارية للمساجد الليبية خلال هذه الفترة.

انطلاقاً من الإشكالية المطروحة، تفترض هذه الدراسة أن عمارة المساجد الليبية خلال العهد العثماني لم تكن نقلاً حرفياً للطرز العثمانية الوافدة، بل جاءت نتيجة عملية تكيف معماري واعية تفاعلت فيها المؤثرات العثمانية مع

الموروث المغربي والخصوصية البيئية والعمرانية المحلية، وهو ما أسهم في تنوع أنماط التخطيط المعماري للمساجد، وانعكس على الوحدات المعمارية الأساسية بوصفها حوامل وظيفية ورمزية في آنٍ واحد، واستنادًا إلى هذه الفرضية، اعتمدت الدراسة منهجًا مركبًا يجمع بين المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، كما استندت الدراسة إلى المسح الميداني وتحليل الصور لدراسة النماذج المعمارية على أرض الواقع وتوثيق خصائصها بدقة، بالإضافة إلى مراجعة الدراسات السابقة والاستفادة من الأدبيات المتخصصة في العمارة العثمانية والعمارة الليبية، وتتكامل هذه المناهج لتقديم قراءة شاملة للتخطيط المعماري للمساجد الليبية خلال العهد العثماني بما يعزز فهم الهوية المعمارية للمنطقة ويكشف عن آليات التفاعل بين الطرز الوافدة والبيئة المحلية.

على هذا الأساس جاءت الدراسة موزعة على ثلاثة محاور رئيسية حيث يتناول المحور الأول أنماط التخطيط العام للمساجد الليبية خلال العهد العثماني، أما المحور الثاني فيتطرق إلى تطور تخطيط بيت الصلاة، بينما يخصص المحور الثالث لتحليل الوحدات المعمارية، وتُختتم الدراسة بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

أنماط التخطيط العام للمساجد:

مساجد تشتمل على مجمعات معمارية دينية:

يتمثل هذا النمط المعماري في تموضع المسجد كنواة مركزية ضمن مجمع ديني وحضري متعدد الوظائف⁽¹⁾، وتعود الجذور التاريخية لهذا النظام المؤسسي إلى المشرق الإسلامي، حيث عرفته مصر إبان العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)⁽²⁾، وكانت إرهاباته الأولى في مجمع السلطان قلاوون بالناحسين (683-684هـ/1284-1285م)، أما في بلاد الأناضول، فقد ظهر هذا التخطيط على يد السلاجقة، ويُعد مجمع (خوند) بمدينة قيصرية الذي شيدته (ما هبري خاتون) زوجة السلطان (علاء الدين كيقباد) الأول (635هـ/1238م)، أول مركب معماري سلجوقي من هذا النوع، وقد تبنى العثمانيون هذا الإرث وطوروه تحت مسمى (الكُلِّيَّة)(Külliye)⁽³⁾، وظهرت نماذج كبرى مثل مجمع السلطان بايزيد الثاني بأدرنة (889-893هـ/1484-1488م) ومجمع سليمان القانوني بإسطنبول (957-964هـ/1550-1557م)⁽⁴⁾.

في هذا السياق التاريخي، انتقل هذا التأثير المعماري إلى العمارة الليبية، حيث استهدفت السلطة السياسية لا سيما في العهد القرة مانلي محاكاة هذا النسق لترسيخ حضورها الاجتماعي وشرعيتها عبر دمج الشعائر التعبدية بالخدمات العامة المستدامة بنظام الوقف

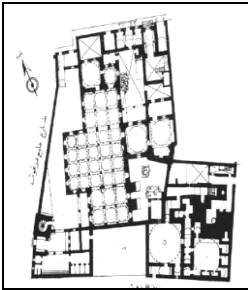
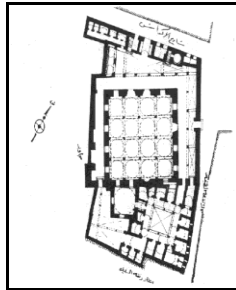
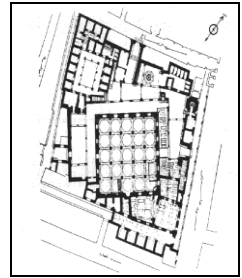
(1) الحداد، محمد حمزة إسماعيل: المجلد في الآثار والحضارة الإسلامية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2005ص86.

(2) المرجع نفسه: ص26.

(3) أصلان آبا، أوقطاي: الترك وعمايرهم. ترجمة أحمد محمد عيسى. إسطنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 2002ص197.

(4) Goodwin, Godfrey. A History of Ottoman Architecture. London: Thames & Hudson, 1997, p. 115

الإسلامي⁽¹⁾، وتتألف هذه المجمعات في ليبيا عادةً من وحدات مترابطة تشمل المدرسة، والميضأة، والضريح، وأحياناً مرافق خدمية، ويبرز هذا النموذج جلياً في مجمع أحمد باشا القرة مانلي بطرابلس (1151هـ/1738م) (شكل 1) الذي يُعد مثلاً متكاملاً باحتوائه على مدرسة علمية ومقبرة للأسرة الحاكمة⁽²⁾، وكذلك في جامع مصطفى قورجي (1249هـ/1833م) (شكل 2) الذي ألحق به ضريح الواقف⁽³⁾، وجامع درغوت باشا الذي ضم مجمعه حماماً ومقبرة تاريخية (شكل 3)⁽⁴⁾، ولم ينحصر هذا المفهوم الوظيفي في المدن الساحلية فحسب، بل امتد ليشمل الدواخل والجنوب الليبي عبر مؤسسة (الزاوية)، التي مثلت مجمعات مكتفية ذاتياً تجمع بين المسجد والمدرسة والمركز الحضري، كما هو الحال في زاوية الجغبوب في قلب الصحراء⁽⁵⁾.



شكل (3) مجمع درغوت باشا

شكل (2) جامع مصطفى
قورجي

شكل (1) مجمع أحمد باشا القرة
مانلي

(1) البلوشي، علي مسعود: (2007)، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرماني 1551-1911. طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

(2) محمد مسعود الورفلي: العمارة الإسلامية في ليبيا، طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1976، ص 133.

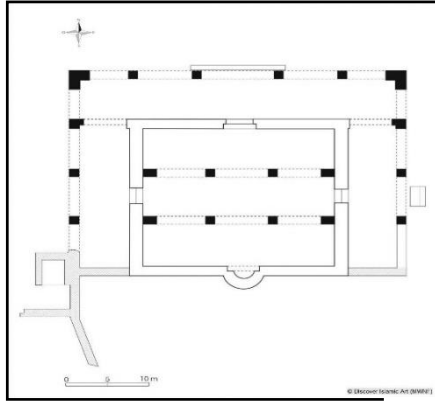
(3) المرجع نفسه: ص 133.

(4) المرجع نفسه: ص 133.

(5) محمد علي مسعود: المساجد ودورها التعليمي في ولاية طرابلس الغرب، مجلة القلعة، جامعة المرقب،

مساجد خالية من الصحن:

يُعرف هذا النمط المعماري بتصميم يقتصر فيه المبنى أساساً على بيت الصلاة دون وجود صحن مكشوف (فناء) يتقدمه، بحيث يتم تغطية المساحة الكلية للمسجد بسقف واحد⁽¹⁾، وتعود البدايات الأولى لهذا الطراز في المشرق الإسلامي إلى فترات مبكرة، كما هو في بعض نماذج العمارة الأموية كمسجد قصر الحلابات بالأردن (105-125هـ)،⁽²⁾ (شكل 4).



شكل (4) مسجد قصر الحلابات بالأردن

⁽¹⁾ Marçais, Georges. L'Architecture Musulmane d'Occident. Paris: Arts et Métiers Graphiques, 1954 P.135

⁽²⁾ الطائش، علي أحمد: عمارة المساجد في ليبيا، دراسة تاريخية تحليلية، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1998، ص 239.

أما في الغرب الإسلامي، فقد ظهرت بوادره مبكراً في مسجد بوفتاتة بسوسة (238-241هـ)⁽¹⁾، وإن كانت بعض الآراء الأثرية ترجح أن بعض هذه المساجد كان لها صحن في الأصل تم ضمه لاحقاً لبيت الصلاة⁽²⁾.

في ليبيا وجد هذا النمط بيئة خصبة للانتشار والتطور نتيجة تضافر عاملين: الأول مناخي؛ حيث تفرض الطبيعة الصحراوية والحرارة الشديدة في الدواخل مثل (غدامس) ضرورة تغطية المسجد بالكامل للحماية من الشمس والعواصف الرملية⁽³⁾، والثاني سياسي ومعماري مرتبط بالتبعية للدولة العثمانية، فقد انتقل تأثير المساجد العثمانية الكبرى ذات التخطيط المغطى بالكامل التي تُعرف بنمط (أولو جامع)(Ulu Cami) إلى العمارة الليبية، ويشير النص الأصلي إلى الجامع الكبير في بورصة (802هـ/1399م) كأحد أهم أمثلة هذا الطراز⁽⁴⁾، وهو ما نجد صداه المباشر في ليبيا في جامع مراد آغا بمدينة تاجوراء⁽⁵⁾ (958هـ/1551م) (شكل 5).

(1) لعرج، عبد العزيز: دراسات في عمارة الغرب الإسلامي، المغرب والأندلس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2007، ص 88.

(2) المرجع نفسه: ص 33.

-يرى العالم "جورج مارسى" أن بعض المساجد فقدت صحنها نتيجة التوسعة العمرانية وضم الفناء لبيت الصلاة.

(3) البلوشي: 2007، مرجع سبق ذكره، ص 266.

(4) Marçais, G. (1954). L'Architecture Musulmane d'Occident. Paris. p. 43.

(5) البهنسي، صلاح أحمد: التأثيرات العثمانية على العمارة والفنون الإسلامية في ليبيا، في أعمال المؤتمر الثاني مدونة الآثار العثمانية في العالم. ز غوان، مؤسسة التميمي، 2006، ص 124.



شكل (5) جامع مراد آغا بمدينة تاجوراء

يُعد جامع مراد آغا النموذج الليبي الأمثل لهذا النمط؛ إذ صُمم كقلعة حصينة ومسجد في آن واحد، بمسقط مستطيل مغطى بالكامل بأقبية وقباب دون صحن أو وسط مكشوف، محاكياً بذلك المساجد السلجوقية والعثمانية المبكرة في الأناضول، كما نجد هذا النمط في العديد من مساجد المدينة القديمة بطرابلس التي اضطر معمارها تحت ضغط الكثافة العمرانية وضيق المساحات داخل الأسوار إلى الاستغناء عن الصحن المكشوف والاكتفاء ببيت صلاة مغطى، مع وجود مiazza صغيرة أو مناور سقيفة للتهوية، وهو ما يعكس تكيفاً وظيفياً مع

امكانيات الموقع، وتأثراً واضحاً بالأنماط المعمارية الوافدة من الحواضر الإسلامية الكبرى⁽¹⁾.

طرز تخطيط بيت الصلاة.

الطرز العربي التقليدي:

يُعد الطراز العربي التقليدي (Hypostyle) النمط التأسيسي الأول في عمارة المساجد، حيث يستمد جذوره من تخطيط مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة المنورة، الذي قام على عنصرين رئيسيين:

صحن مكشوف، وظلة للصلاة (بيت الصلاة) جهة القبلة⁽²⁾، وقد تطور هذا الطراز عبر العصور الإسلامية متخذاً ثلاثة أنماط تخطيطية رئيسية بناءً على توجيه الأروقة نسبةً لجدار القبلة وهي نمط الأروقة الموازية، ونمط الأروقة المتعامدة، ونمط الأروقة المتقاطعة (Tshape)⁽³⁾.

في سياق العمارة الليبية، حافظ المعمار المحلي على هذا الإرث التقليدي، لا سيما في المساجد العتيقة التي سبقت التأثيرات العثمانية المتأخرة، أو تلك التي زاوجت بين البساطة العربية والتقنيات المحلية⁽⁴⁾، ويتميز هذا النمط في ليبيا كما في عموم المغرب العربي بسيادة تخطيط الأروقة الموازية لجدار القبلة،

(1) البهنسي، صلاح أحمد: طرابلس الغرب في العصر العثماني: دراسة في التطور العمراني والحضاري.

الكويت: ذات السلاسل، 1989. ص135.

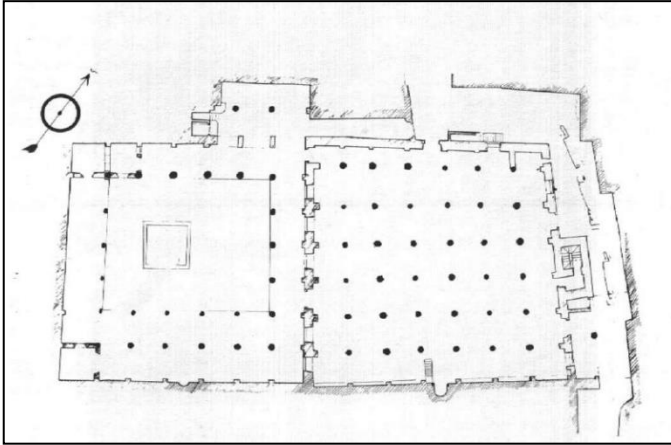
(2) Hoag, J. D. (1977). Islamic Architecture. New York: Harry N. Abrams

(3) أصلان: مرجع سبق ذكره، ص 235-

(4) الورفلي: مرجع سبق ذكره: ص57.

وهو التخطيط الذي نجد جذوره الراسخة (مغربي) في مسجد القرويين وجامع الأندلسيين بفاس⁽¹⁾.

ومن أبرز الشواهد الليبية على هذا الطراز جامع الناقة بالمدينة القديمة في طرابلس الذي يعود أصله لفترات مبكرة وأعيد بناؤه في العهد القره مانلي، حيث يتميز ببيت صلاة ذي أروقة متعددة وموازية لجدار القبلة، محمولة على غابة من الأعمدة المتنوعة التي تعكس روح الطراز العربي البسيط (شكل 6).



شكل (6) جامع الناقة

تاريخياً، ينقسم هذا النمط (الموازي) إلى نوعين فرعيين ظهرا بوضوح في المغرب الإسلامي⁽²⁾.

النوع الأول (المجاز القاطع)⁽³⁾.

(1) يرجع تأسيس جامع القرويين وجامع الأندلسيين إلى القرن الثالث الهجري (245هـ/859م)، وشهدا توسعات في العصر المرابطي والموحدي رسخت هذا النمط.

(2) لعرج: مرجع سبق ذكره، ص48.

يتميز بوجود رواق أوسط (مجاز) يتعامد مع جدار القبلة ويفوق الأروقة الأخرى اتساعاً أو ارتفاعاً، مشكلاً مع رواق القبلة حرف (T)، وهو ما يعرف بـ (تخطيط T).

النوع الثاني (المتجانس)⁽¹⁾.

فيه تتوازي جميع الأروقة دون تمييز للرواق الأوسط، وهو النمط السائد في العديد من المساجد المحلية في الدواخل الليبية (مثل مساجد غدامس والجبيل) التي تعتمد على تكرار الأروقة الموازية.

إذا كانت العمارة في المشرق قد عرفت هذا الطراز مبكراً وتجلّى في روائع مثل الجامع الأموي بدمشق (87-96هـ/705-715م)، وجامع الأزهر (359-361هـ/970-972م)، وجامع الظاهر ببغداد (665-667هـ/1266-1269م)⁽²⁾ فإن العمارة الليبية قد تبنت هذا المفهوم ووظفته بما يلائم بيئتها، مبتعدة في كثير من الأحيان عن الزخرف الزائد، ومكتفية بجماليات التكرار في العقود والأعمدة، مع الحفاظ على الصحن كعنصر تهوية وإضاءة محوري قبل أن يبدأ التحول تدريجياً نحو المساجد المغطاة بالكامل في العهد العثماني⁽³⁾.

(3) المرجع نفسه، ص49.

(1) البلوشي: 2007، مرجع سبق ذكره، ص266.

(2) Hoag, John D. (1977). Islamic Architecture. New York: Harry N. Abrams. p. 45.

(3) الورفلي: مرجع سبق ذكره: ص58.

طرز المساجد المتعددة القباب.

يشكل طراز المساجد المتعددة القباب أحد أبرز الأنماط المعمارية التي سادت في العمارة الدينية الليبية خلال العهد العثماني⁽¹⁾، ويعتمد هذا التخطيط هندسياً على تقسيم بيت الصلاة إلى بلاطات (مربعات) ناتجة عن تقاطع الأروقة العمودية والموازية لجدار القبلة، بحيث يتم تسقيف هذه البلاطات بمنظومة من القباب والأقبية المتناوبة التي تغطي كامل مساحة المسجد⁽²⁾، ويُعرف هذا النمط في المصطلحات المعمارية العثمانية باسم طراز "أولو جامع" (Ulu Cami) أي (الجامع الكبير)، نسبةً إلى نموذجه الأصلي في جامع السلطان بايزيد الأول بمدينة بورصة التركية (798-802هـ/1396-1400م) الذي سُقف بعشرين قبة متساوية⁽³⁾ (شكل 7).



شكل (7) جامع السلطان بايزيد الأول بمدينة بورصة التركية.

(1) البهنسي: مرجع سبق ذكره: ص 57

(2) أصلان آبا، أوقطاي. مرجع سبق ذكره، ص 235.

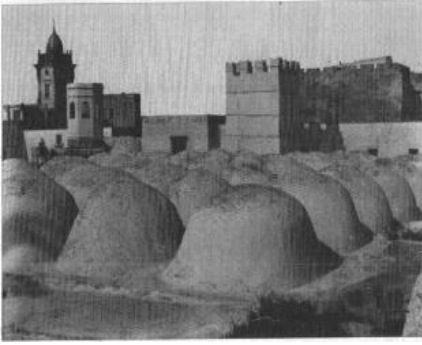
(3) حول أصل طراز "أولو جامع" وجامع بورصة الكبير، انظر: أصلان مرجع سبق ذكره: ص 175، وانظر أيضاً: الحداد، محمد حمزة إسماعيل. المرجع السابق. ص 505-506.

في ليبيا لم يكن هذا الطراز مجرد نسق معماري وافد، بل تحول إلى السمة الغالبة على معظم المساجد الجامعة التي شُيّدت أو جُددت خلال الحكم العثماني والعهد القره مانلي، نظراً لملاءمته المناخية وقدرته الإنشائية على تغطية مساحات واسعة⁽¹⁾، وتشير الدراسات الأثرية إلى أن أغلبية مساجد تلك الفترة اتبعت هذا النسق⁽²⁾، من أبرز شواهد جامع درغوت باشا بطرابلس (967هـ/1560م): الذي يُعد من أوائل التطبيقات لهذا الطراز في ليبيا (شكل 8) وكذلك جامع الناقة (إعادة بنائه في 1019هـ/1610م): حيث أُعيد تشكيله وفق مقتضيات العمارة السائدة حينها (شكل 9) وأيضاً جامع شائب العين (1109 هـ / 1698م) (شكل 10)، و جامع أحمد باشا القره مانلي (1151هـ/1738م):

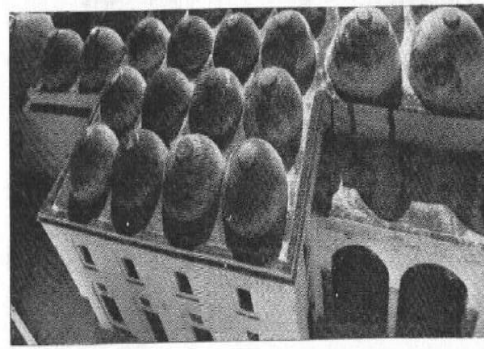
الذي يمثل ذروة التطور والزخرف لهذا النمط في طرابلس (شكل 11).

(1) أصلان آبا، أوقطاي. مرجع سبق ذكره، ص 236.

(2) لتفاصيل انتشار هذا الطراز في المساجد الليبية (درغوت، الناقة، القره مانلي)، انظر: البهنسي، صلاح أحمد: (2006). التأثيرات العثمانية على العمارة والفنون الإسلامية في ليبيا، أعمال المؤتمر الثاني لمدونة الآثار العثمانية في العالم، زغوان: منشورات مؤسسة التميمي، ص 277. انظر أيضاً: الورفلي، محمد مسعود. العمارة الإسلامية في ليبيا. ص 264.



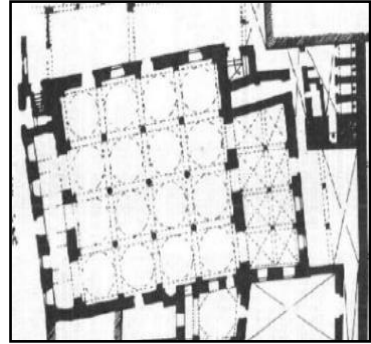
شكل (9) جامع الناقة



شكل (8) جامع درغوت



شكل (11) جامع احمد باشا



شكل (10) جامع شائب العين

على الرغم من ارتباط تسمية هذا الطراز بالعصر العثماني، فإن جذوره التخطيطية (تقاطع البلاطات والتسقيف المقبب) تمتد إلى فترات تاريخية سابقة في العالم الإسلامي، حيث نجد بداياته في الجامع الكبير بسوسة في تونس

(236هـ/851م)، ومسجد الأقمر بالقاهرة (519هـ/1125م)⁽¹⁾، مما يؤكد أن المعمار الليبي عندما تبنى هذا الطراز، كان يستند إلى موروث محلي ومشرقي مشترك أعاد صياغته بصبغة عثمانية⁽²⁾.

طراز المساجد ذات القبة المركزية.

يُعد طراز (القبة المركزية) من أبرز التحولات المعمارية التي طرأت على عمارة المساجد في المغرب العربي مع توسع النفوذ العثماني، إذ لم يكن هذا الطراز المعتمد على الهيمنة الإنشائية والبصرية لقبة ضخمة مألوفاً في التقاليد المعمارية المحلية السابقة، وتتمثل السمة الجوهرية لهذا الطراز في تغطية الحيز الأكبر من بيت الصلاة بقبة مركزية كبيرة، تحف بها مساحات جانبية (أروقة) مسقوفة أحياناً بقباب أصغر أو أقبية، مما يخلق تدرجاً هرمياً في الفضاء الداخلي⁽³⁾.

أما في ليبيا ورغم شيوع طراز القباب المتعددة المتساوية (أولو جامع)، إلا أن تأثير طراز القبة المركزية ظهر جلياً في المنشآت الدينية المتأخرة، وتحديداً في جامع أحمد باشا في مدينة الخمس (1325هـ/1833م). يمثل هذا الجامع ذروة التطور المعماري لهذا النمط في ليبيا.

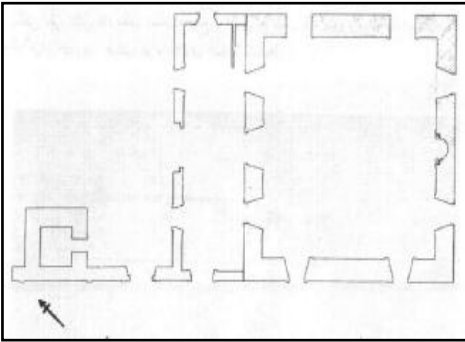
(1) حول الجذور التاريخية لهذا التخطيط في المغرب والمشرق، انظر: الحداد، محمد حمزة إسماعيل. المرجع السابق. ص 524.

(2) الحداد، محمد حمزة إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص 524-525.

(3) حول خصائص طراز القبة المركزية وتأثيراته العثمانية في المغرب العربي، انظر: لعرج، عبد العزيز. "مرجع سبق ذكره، ص 463-465. وانظر أيضاً: بن بلة، خيرة. المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر. ص 145-146).

حيث تتوسط بيت الصلاة قبة مركزية ضخمة تتركز على رقبة ثمانية، مما يحقق مفهوم (المركزية) الذي يميز هذا الطراز العثماني عن غيره⁽¹⁾ (شكل 12).

كما نلمس هذا التوجه في جامع أحمد باشا القرة مانلي (1151هـ/1738م)، الذي وإن اعتمد تعدد القباب، إلا أنه ميز القبة الوسطى زخرفياً ومعمارياً لتكون بؤرة الارتكاز في المخطط⁽²⁾.



شكل (12) مخطط جامع أحمد باشا في مدينة الخمس

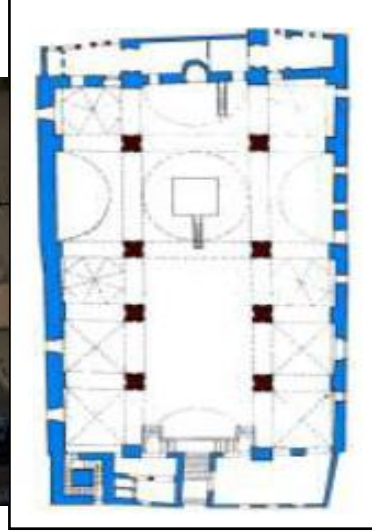
يمكن تصنيف المعالجات المعمارية لهذا الطراز في المنطقة إلى عدة أنماط فرعية، تباينت بين قبة تحف بها بلاطة واحدة أو بلاطتان، أو النمط المتطور الذي يأخذ شكل الصليب

(كما في بعض نماذج الجزائر كالجامع الجديد) (شكل 13).

⁽¹⁾ يُعد جامع قورجي المثال الأبرز لسيادة القبة المركزية في طرابلس. انظر: الورفلي، مرجع سبق ذكره.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 225.

أما في ليبيا، فقد تبلور النمط في شكل (مربع التسع قباب أو أكثر) الذي تتسيد فيه القبة الوسطى الموقف، وهو حل معماري يجمع بين التقاليد المحلية والمركزية العثمانية⁽¹⁾.



شكل (13) جامع الجديد بالجزائر

تاريخياً، وإذا كان دخول هذا الطراز إلى شمال إفريقيا مقترناً بالعثمانيين، فإن جذوره التخطيطية الأولى قد ترجع إلى فترات مبكرة من العمارة الإسلامية، وتشير بعض النصوص التاريخية والدراسات المقارنة إلى أن مساجد خطط مدينة

(1) بن بلة: مرجع سبق ذكره، ص145.

الفسطاط بمصر كانت تُغطى أحياناً بقبة، وهو ما عُرف بنمط المسجد القبة⁽¹⁾، ومن هذه البدايات استلهم المعمار المسلم في فترات لاحقة فكرة تطوير الفراغ المركزي وتوسعته عبر إضافة بلاطات جانبية، ليتبلور لاحقاً في العهد العثماني بشكله الكلاسيكي الباذخ الذي انتقل إلى حواضر الولايات كطرابلس ليبيا⁽²⁾.

أنماط تخطيط الوحدات المعمارية في المساجد الليبية: الأصول والتطور.

تتشكل الهوية المعمارية للمساجد من خلال معالجة وحداتها الأساسية، وتحديدًا المحاريب والمآذن والصحن، التي شهدت في العمارة الليبية تطوراً ملحوظاً نتاج امتزاج بين الموروث المحلي المغاربي والتأثيرات العثمانية الوافدة.

أولاً: تطور عمارة المحراب بين الموروث المحلي والتأثيرات الوافدة.

يُعد المحراب في العمارة الليبية وتحديدًا خلال العهد العثماني، مرآة عكست التفاعل بين الثابت والمتغير في التقاليد الفنية؛ فمن حيث التخطيط الأفقي، حافظت المحاريب على بنية التجويف نصف الدائري العميق الذي يمثل الامتداد الطبيعي للعمارة الإسلامية المبكرة⁽³⁾، إلا أن التحول الجوهرى ظهر في المعالجة الزخرفية والواجهات، حيث انتقلت إلى طرابلس تقنيات الزخرفة الجصية الدقيقة التي تعتمد على الأطباق النجمية و التضليعات المتداخلة في طاقة المحراب، متأثرة بشكل مباشر بالنمط التونسي (الحفصي والعثماني).

(1) حول أصول نمط "المسجد القبة" في الفسطاط، انظر: الحداد، مرجع سبق ذكره، ص 411. (وانظر مناقشة:

شافعي، فريد. العمارة العربية في مصر الإسلامية. ص 456.

(2) الحداد: المرجع السابق نفسه. ص 411.

(3) الحداد: المرجع نفسه. ص 439.

ولم يقتصر التأثير على الزخرفة الداخلية، بل امتد ليشمل واجهة المحراب التي تميزت باستخدام العقود المصنجة ذات الألوان المتناوبة، كما هو الحال بوضوح في محرابي جامع شايب العين (1111هـ/1699م) (شكل 14)، وجامع أحمد باشا القرة مانلي (1151هـ/1738م)⁽¹⁾ (شكل 15).

إضافةً إلى ذلك برزت ظاهرة معمارية جديدة تمثلت في اكتناف المحراب بأعمدة مزدوجة أو أكثر من كل جانب، بدلاً من العمود الواحد الذي كان سائداً في العمارة المغاربية، وهي سمة استعارتها العمارة العثمانية في ليبيا من التقاليد المملوكية في المشرق لإضفاء طابع الفخامة والهيبة على جدار القبلة⁽²⁾.

(1) البهنسي: مرجع سبق ذكره. ص 50.

(2) حسن، هناء محمد علي: المحاريب في مصر في العصر العثماني: دراسة أثرية فنية، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2008، ص 235.

ثانياً: المآذن وتحولات البنية الشكلية. شكّلت المئذنة أحد أبرز العناصر التي عكست التفاعل بين الموروث المحلي والتأثيرات العثمانية في عمارة المساجد الليبية، فقد حافظ المعمار الليبي على القاعدة المربعة للمئذنة، وهي سمة مغاربية أصيلة تمتد جذورها إلى مئذنة جامع القيروان التي أصبحت نموذجاً مرجعياً في عمارة الغرب الإسلامي⁽¹⁾ (شكل 16).



شكل (15) محراب أحمد باشا



شكل (14) محراب جامع شايب العين

(1) بن مامي، محمد الباجي: تونس: دراسات تاريخية ومعمارية. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1999. ص 53.



شكل (16) مئذنة جامع القيروان

غير أن التحول الجوهري ظهر في بدن المئذنة، حيث انتقل من الشكل المربع الضخم إلى البدن الأسطواني أو المضلع الرشيق، وهو طراز عثماني خالص انتقل إلى ليبيا عبر التأثيرات القادمة من الأناضول، وقد جاءت هذه المآذن في ليبيا أقل ارتفاعاً من نظيراتها في إسطنبول، مراعاةً لظروف الرياح وقرب المباني داخل النسيج العمراني الضيق للمدن المسورة، كما تميزت بوجود شرفة واحدة (مئذنة) ذات درابزين حجري بسيط، بخلاف المآذن العثمانية متعددة الشرفات. ويُعد جامع درغوت باشا (967هـ/1560م) (شكل17) وجامع سيدي سالم المشاط (شكل18) وجامع مصطفى قرجي(شكل19) من أبرز الأمثلة التي تجسّد هذا التزاوج بين القاعدة المغاربية (كمئذنة جامع الناقة) (شكل20)، والبدن

العثماني، حيث يظهر التدرج الانسيابي في بدن المئذنة، مع نهايات مخروطية دقيقة تعكس الطابع العثماني، حيث ارتفعت هذه المآذن الرشيقة ذات الشرفات المستديرة لتزاحم المآذن المربعة التقليدية مشكلةً أفقاً بصرياً متنوعاً للمدينة⁽¹⁾.



شكل (20) مئذنة جامع الناقة



شكل (19) مئذنة جامع قرجي



شكل (18) مئذنة سالم المشاط



شكل (17) مئذنة جامع رغوت

ثالثاً: الديناميكية المكانية للصحن وفيما يتعلق بالتخطيط الفراغي.

يمثل الصحن أحد العناصر الجوهرية في عمارة المساجد الإسلامية، وقد ارتبط تاريخياً بوظائف متعددة تشمل الإضاءة والتهوية واستيعاب الأنشطة الدينية والاجتماعية، إلا أن وضعية الصحن في المساجد الليبية خلال العهد العثماني

(1) البهنسي: التأثيرات العثمانية، مرجع سبق ذكر. ص 279.

شهدت تحولات واضحة نتيجة تفاعل ثلاثة عوامل رئيسية وهي طبيعة النسيج العمراني للمدن المسورة والظروف المناخية، والتأثيرات العثمانية الوافدة.⁽¹⁾ فعلى خلاف المساجد المشرقية ذات الصحن الواسعة، جاءت صحن المساجد الليبية محدودة المساحة أو جانبية الموقع، بل اختفى الصحن تمامًا في بعض المساجد المغطاة بالكامل، ويعود ذلك إلى ضيق المساحات داخل المدن القديمة مثل طرابلس في الشمال ومدينة غدامس في الجنوب على سبيل المثال لا الحصر، حيث فرضت الأزقة المتشابكة والكتل العمرانية المتلاصقة حلولاً معمارية بديلة، فتم نقل الصحن إلى الجهة الخلفية أو الجانبية، أو اختزاله إلى فناء صغير يخدم أغراض التهوية فقط⁽²⁾.

تبرز هذه الديناميكية المكانية بوضوح في جامع قرجي بطرابلس، الذي اعتمد على صحن جانبي صغير يخدم أغراض التهوية والوضوء، بعيداً عن النموذج التقليدي للصحن المركزي المفتوح.⁽³⁾ مما يعكس قدرة المعمار الليبي على تطويع العناصر القياسية وفق المحددات البيئية والعمرانية المحلية، وهو ما يعكس مرونة العمارة المحلية في إعادة تعريف وظيفة الصحن بما يتناسب مع خصوصية المكان⁽⁴⁾.

(1) البلوشي: مرجع سبق ذكره، ص 143.

(2) الزغبى، يحيى يوسف: عمارة المساجد في المدن الإسلامية، تطور الصحن في المسجد. في أبحاث المؤتمر العالمي الأول للعمارة والفنون الإسلامية، 1-24. القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الهندسة، 2007. ص 155.

(3) مسعود، محمد علي. "المساجد ودورها التعليمي في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني".

مجلة القلعة، جامعة المرقب، 2025. ص 82.

(4) الزغبى: مرجع سبق ذكره. ص 17.

إن هذه الأمثلة تؤكد أن الصحن في المساجد الليبية العثمانية لم يكن عنصرًا ثابتًا، بل شكّل فضاءً ديناميكيًا متحوّلًا، يتكيّف مع الظروف العمرانية والاجتماعية والبيئية، ويعكس في الوقت ذاته قدرة العمارة المحلية على استيعاب التأثيرات العثمانية وإعادة إنتاجها في سياق ليبي أصيل.⁽¹⁾

الخاتمة:

في ضوء الإشكالية التي انطلقت منها الدراسة، والمتمثلة في تحليل آليات التكيف المعماري للمساجد الليبية خلال العهد العثماني، وبالاستناد إلى الأهداف التي سعت إلى تفسير أنماط التخطيط المعماري وربطها بالمحددات البيئية والعمرانية المحلية، خلصت هذه الدراسة إلى أن عمارة المساجد الليبية خلال العهد العثماني (1551-1911م) لم تكن نقلاً حرفيًا للطرز الوافدة، بل مثّلت نتاج عملية تكيف معماري واعية دمجت بين الموروث المغاربي المحلي، والتأثيرات العثمانية، والخصوصيات البيئية والعمرانية والاجتماعية، وقد أسهم هذا التفاعل في تبلور طراز معماري هجين جمع بين الكفاءة الوظيفية والرمزية الدينية والسياسية.

أظهرت نتائج الدراسة من خلال محاورها الثلاثة، تنوع أنماط التخطيط العام للمساجد بين المجمعات الدينية المتكاملة والمساجد المغطاة بالكامل، بما يعكس مرونة الحلول التخطيطية وقدرتها على الاستجابة لشروط النسيج الحضري والمناخ المحلي، كما بيّنت تطور تخطيط بيت الصلاة من الطراز العربي التقليدي إلى طراز القباب المتعددة وصولاً إلى القبة المركزية في المراحل المتأخرة في تعبير

(1) بن بلة: مرجع سبق ذكره، ص 215

واضح عن التفاعل المستمر بين الوظيفة والتأثيرات المعمارية الوافدة، أما على مستوى الوحدات المعمارية، فقد كشفت الدراسة عن تحولات جوهرية في المحاريب والمآذن والصحون، عكست مزيجاً متوازناً بين الثوابت المحلية والأنماط العثمانية.

بذلك، تسد الدراسة فجوة بحثية ملحوظة في مجال العمارة الإسلامية بليبيا، من خلال تقديم تحليل منهجي يربط بين أنماط التخطيط المعماري وآليات التكيف المحلي، وتؤكد القيمة التراثية العالية للمساجد الليبية العثمانية بوصفها عنصراً أساسياً لفهم تطور الهوية المعمارية للمدن الليبية.

التوصيات:

توصي الدراسة بضرورة تعزيز جهود التوثيق الميداني والرقمي للمساجد العثمانية في ليبيا باستخدام التقنيات الحديثة، وإجراء دراسات مقارنة معمقة مع عمارة المساجد في المغرب العربي والأناضول لفهم آليات التكيف المعماري بصورة أشمل، كما تؤكد أهمية تطوير منهجيات علمية متخصصة لحفظ وترميم هذه المساجد، تراعي الخصوصيات البيئية والإنشائية المحلية، وتتبنى مبادئ الحفظ التكاملي.

توصي الدراسة كذلك بتكثيف البحوث المتعلقة بالأداء البيئي والاجتماعي للمساجد التاريخية، والاستفادة من نتائجها في العمارة المعاصرة المستدامة، إلى جانب إدماج موضوع العمارة العثمانية في ليبيا ضمن المناهج الأكاديمية وبرامج التدريب المتخصصة، وربط نتائج الدراسات العلمية بسياسات التخطيط العمراني والحفاظ على المدن التاريخية.

المصادر والمراجع: أولاً: المراجع العربية

- أصلان آبا، أوقطاي. فنون الترك وعماثرهم. ترجمة أحمد محمد عيسى. إسطنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 2002.
- البهنسي، صلاح أحمد. «التأثيرات العثمانية على العمارة والفنون الإسلامية في ليبيا». في أعمال المؤتمر الثاني لمدونة الآثار العثمانية في العالم. زغوان: مؤسسة التميمي، 2006.
- البهنسي، صلاح أحمد. طرابلس الغرب في العصر العثماني: دراسة في التطور العمراني والحضاري. الكويت: ذات السلاسل، 1989.
- البلوشي، علي مسعود. تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرماني (1551-1911م). طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية، 2007.
- بن بلة، خيرة. المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2015.
- بن مامي، محمد الباجي. جوامع مدينة تونس: دراسة تاريخية وأثرية ومعمارية. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1999.
- الحداد، محمد حمزة إسماعيل. المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2005.
- حسن، هناء محمد علي. المحاريب في مصر في العصر العثماني: دراسة أثرية فنية. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2008.

- الزغبى، يحيى يوسف. «عمارة المساجد في المدن الإسلامية: تطور الصحن في المسجد». بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الأول للعمارة والفنون الإسلامية. القاهرة، 2007.
- الطائش، علي أحمد. العمارة الإسلامية في ليبيا: عمارة المساجد (من الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني). بنغازي: دار الكتب الوطنية، 2003.
- لعرج، عبد العزيز. «مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية والعمارة في المغرب العربي». في أبحاث المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، مجلد 2. القاهرة: جمعية الآثاريين العرب، 2005.
- لعرج، عبد العزيز. دراسات في عمارة الغرب الإسلامي: المغرب والأندلس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2007.
- مسعود، محمد علي. «المساجد ودورها التعليمي في ولاية طرابلس الغرب». مجلة القلعة، جامعة المرقب، 2025.
- الورفلي، محمد مسعود. العمارة الإسلامية في ليبيا. طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1976.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Hoag, John D. *Islamic Architecture*. New York: Harry N. Abrams, 1977.
- Marçais, Georges. *L'Architecture Musulmane d'Occident*. Paris: Arts et Métiers Graphiques, 1954.